تأثير ورشات المحاكاة بالتربية على القدرات الذاتيّة لدى المعلّمين

ياسمين بلعوم*

بحث الدكتوراة الذي أنا بصدده يفحص مدى نجاعة برنامج توجيه خاصّ للمعلّمين وقدرته على تحسين مهنيّتهم والقدرات الذاتيّة الخاصّة بهم.

التعلّم المبنيّ على المحاكاة هو برنامج خاصّ للمعلّمين بمشاركة وزارة التربية والتعليم. ما يميّز هذا البرنامج هو التجربة العمليّة للمعلّمين عن طريق لقاء مُمَنْهَج مع ممثّلين مهنيّين، وهو ما يسمح بالتمرّس والتدرّب على حالات صراع بالتعليم بواسطة المحاكاة، ويشمل ذلك تصوير فيديو، وتغذية راجعة من الممثّلين والزملاء ومن موجِّه المجموعة بواسطة حِوار جماعيّ يعتمد على مشاهَدة الفيديو المصوَّر.

يتدرّب المعلّمون في ورشة المحاكاة على حالات صراع يواجهونها أثناء عملهم، وذلك باشتراك ممثّلين مهنيّين دُرِّبوا على القيام بأدوار ملائمة من عالم المعلّمين المهنيّ (نحو: الطلبة؛ الأهل؛ المختصّين)، وذلك حسب قصص مركّبة من المشاكل والتحدّيات الملائمة للمجموعة على نحوٍ خاصّ.

ورشات المحاكاة تجري في مجموعات تَعلُّم صغيرة في أستوديو تصوير متقدّم تكنولوجيًّا يساعد على تصوير الفيديو المتطوّر للمحاكاة. بعد تجربة المحاكاة، تُعْقَد جلسة حِوار ومحادثة تضمّ مشاهَدة المتمرّس لنفسه أثناء تصوير الفيديو، وكذلك تضمّ إجراء تغذية راجعة بِـ 360 درجة تشمل: مردودًا شخصيًّا من المتمرّس عن نفسه؛ مردودًا من أفراد المجموعة؛ مردودًا من الممثّلين عن تجاربهم ومشاعرهم الشخصيّة في لقاء المحاكاة مع المتمرّس؛ مردودًا يشجّع على التعلُّم من موجِّه المجموعة.

أهداف البحث

1) فحص مدى نجاعة برنامج توجيه خاصّ للمعلّمين وقدرته على تحسين مهنيّتهم والقدرات الذاتيّة الخاصّة بهم.

2) فحص مدى قدرة برنامج توجيه خاصّ للمعلّمين على تلبية حاجات المعلّمين المهنيّة.

3) البحث في مدى نجاعة مراكز المحاكاة، وقدرتها على تطوير وتحسين وبناء المعرفة والمهارات لدى المعلّمين على مدار عملهم أثناء عمليّة التعلُّم.

4) توضيح ماهيّة مراكز المحاكاة، وفحصها في العالم، وكيفيّة التعامل مع هذه المراكز.

5) توضيح كيفيّة تلقّي معلومات واستنتاجات من مراكز المحاكاة، وكيفيّة التعامل مع معلومات من عوامل وأشخاص يعملون في مجال هذه المراكز.

أسئلة البحث:

1) ما مدى نجاعة برنامج توجيه خاصّ للمعلّمين في قدرته على تحسين مهنيّتهم والقدرات الذاتيّة والخاصّة بهم؟

2) ما مدى قدرة برنامج توجيه المعلّمين على تلبية احتياجات المعلّمين المهنيّة؟

3) هل المعلومات والاستنتاجات المستخلَصة من برنامج المحاكاة قادرة على تطوير وتأهيل المعلّمين في مجال عملهم؟

4) ما تأثير المحاكاة على القرارات الذاتيّة لدى المعلّم، ومدى نجاعتها في التأثير عليها؟

الإطار النظريّ:

بعد قراءتي لعدّة دراسات، توصّلت إلى أنّ النظريّات التي كتبها المعلّمون والباحثون تفيد أنّ مهنة التعليم تظهر كمهنة مركّبة من وجهات عقلانيّة وإحساسيّة، وتأثيرها العمليّ والعمل بها سيكون في الزمن الآنيّ، وتحدث في الوجهات أمام مجموعة طلّاب. من هنا، يحتاج التعليم -بالإضافة إلى المعرفة العمليّة الأكاديميّة- إلى مهارات وقدرات عمليّة ملائمة وإلى إرشاد وإدارة لقاءات يوميّة (دروس) يحدث فيها تعلُّم. بطبيعة الحال، المعلّم يواجه حالات وأحداثًا كثيرة وغير متوقّعة تخلق وضع وعدم المعرفة، وفيها يحتاج المعلّم إلى حلّ (Shapira, 2013).

من أمثلة ذلك أنّ "المشاغَبة في الصفّ" تعبّر عمليًّا عن صعوبة لولبيّة مستمرّة لها عوارض سلوكيّة خارجيّة وداخليّة، وتؤثّر على العمل اليوميّ للمعلّم. هذه الصعوبة عمليًّا تعبّر عن وضع المعلّم في عينه هو وفي أعين الآخرين وهنا تكمن

الصعوبة في التعامل مع تلاميذ بحاجة إلى التعلُّم ولكن لا يستطيع المعلم الوصول اليهم ولذلك يكون هدف المحاكاة الاساسي هو تدريب ومساعدة المعلّم.

مهنة التعليم هي مهنة صعبة وليست سهلة. في السنوات الأخيرة، ثمّة ظاهرة آخذة في الاتّساع تتمثّل في ترك مهنة التعليم، وعلى وجه الخصوص خلال السنوات الخمس الأولى من الخدمة (شبيرلنج، 2015). بداية الطريق في العمل في سلك التعليم تُعتبر من أصعب المراحل في هذه المهنة. يصل المعلّمون إلى الوظيفة شبّانًا طمّاحين يحلمون في التغيير، ويؤمنون بأنّهم قادرون على إحداث تغييرات في المجتمع وفي تربية الأبناء، ولكن بالرغم من النوايا الحسنة فهم قد تعلّموا حسب الطرائق التقليديّة، وجرى تدريبهم وَفق طرائق ووسائل قديمة قد لا تكون ملائمة للحقبة الزمنيّة التي نعيشها. عندما يدخلون إلى الحقل، يصطدمون بواقع المهنة الحقيقيّ، وبأنّ الحقيقة تختلف اختلافًا تامًّا عمّا درسوه في الجامعات.

هذا يُشعرهم أنّهم غير مؤهَّلين للعمل في المدارس وأمام طلّاب الصفوف، حتّى إنّهم يهابون الوصول إلى المدرسة. يمكن أن يكون السبب في التسرّب من المهنة في السنوات الأولى من العمل هو الفجوة بين النظريّات والتطبيق أثناء تأهيلهم في الجامعات. إعطاء نظريّات بعيدة وغير مرتبطة بتجربة المعلّم العمليّة في بداية طريقه تفسّر عدم القدرة على الانتقال من النظريّات إلى العمل في بداية الطريق. هناك أبحاث تدلّ على الصعوبة في ترجمة المعلومات النظريّة إلى معلومات عمليّة لدى المعلّمين. من أهمّ أسباب ترك مهنة التعليم التأهيلُ غير الكافي للعمل داخل الصفّ، أو التأهيل الذي لا يعطي القدرة على التعامل الصفّيّ والإداريّة الصفّيّة في الواقع. لذا، كان هناك توجُّه إلى أدوات تُستخدم في مهن أخرى وتساعد على التعامل مع أحداث وصراعات داخل الصفّ في الحقيقة، كالطبّ والمحاماة وغيرها. تُستخدم في هذه المهن أدوات عديدة تحتوي على أنماط محاكاة في السنوات العشر الأخيرة، هدفها تمثيل أحداث واقعيّة وتساعد في تعلُّمٍ عمليّ جذريّ.

تحوّلت المحاكاة إلى نمط كثير الشعبيّة من أجل خلق بيئات واقعيّة تقرّب بين العالم ومكان العمل. في مجال التعليم، المحاكاة لم تأخذ حيّزًا كبيرًا بعد، ففي مجال التربية بعامّة يجري تحليل وتغذية راجعة في أعقاب الدروس، وهذه التجربة تساعد الطلبة على التطوُّر الوظيفيّ، وتُكسبهم مهارات مهمّة تعلّمهم كيف تكون ردّة فعلهم سريعة تجاه ما يحدث في الصفّ.

اليوم ثمّة ستّة مراكز محاكاة في التربية في البلاد. هدفها المركزيّ هو: استخدام المحاكاة في التربية من أجل التأهيل والتطوير المهنيّ لطلبة دور المعلّمين، والمتخصّصين، والمعلّمين المؤهّلين، وأصحاب الوظائف، في سبيل تحسين وتطوير وبناء المعرفة والمهارات لدى المعلّمين على مدار عملهم أثناء عمليّة التعليم.

أحد هذه المراكز هو مركز المحاكاة في كلّيّة داڤيد يالين في القدس. أقيم هذا المركز في الأشهر الأخيرة، وضمّ جميع التحضيرات الملائمة لابتداء العمل في المركز. سوف تُبحث نجاعة العمل في المركز بواسطة بحث واسع. البحث سوف يتركّز في ماهيّة المحاكاة، وفحصها في العالم، وكيفيّة التعامل مع مراكز كهذه، وتلقّي معلومات من عوامل وأشخاص يعملون في هذا المجال في إسرائيل.

القاعدة الأساسيّة للمحاكاة بالتربية هو أنّ هذه المحاكاة تشبه صفات من الواقع بواسطة تصرّف "ممثّلين" لأهداف خاصّة، نحو: التدرّب على اتّخاذ القرارات؛ الإرشاد؛ التأهيل؛ التعلّم والشرح؛ تقييم القدرة على التعامل مع العدد من الأوضاع قد تواجهنا في الواقع. أفضليّة المحاكاة في التعليم تتوضّح رؤيتها بواسطة التمثيل الواقع وشروطه، أي إنّها من قلب الحدث وليست بعيدة عمّا يواجهه المعلّم بصورة عامّة.

المحاكاة تساعد على التطوير والتفعيل والتعليم حسب هذا الموديل (النظام /الأنموذج)، وذلك من خلال تجربة تمرُّس دائم وملائم بعدّة أحداث هدفها إعطاء معلومات من التصرُّف المثاليّ من أجل التعامل مع حالات عاديّة وكذلك حالات صعبة من مجال التعليم. المحاكاة تساعد على تطبيق نظريّات وأفكار تعلّموها في دورات التأهيل المهنيّ. المحاكاة تشبه من أجلهم صفات حقيقيّة للأشخاص تضيف حياة وروحًا إلى الأحداث، وتؤنس تجربة المحاكاة المبنيّة على تعلُّمهم. الأحداث في هذه المحاكاة تكون داخل بيئة "محميّة" تساعد على التعلّم، وعلى التغذية الراجعة، والتفسير بمستوى عالٍ، وتُستخدم بعد كلّ حدث للرقابة على السيرورة.

برنامج المحاكاة بالتربية مبنيّ على أسس برنامج "ميسر"، وهو برنامج طُوِّر في مركز المحاكاة في تال هشومير، وهو ملائم لاحتياجات التدرّب (ستاج) في مهنة الطبّ. وهو موجَّه للحصول على وجهة نظر وصلاحيّة ملائمة للتعامل الفعّال في حالاتٍ تواصَلَ فيها صراع في الصفّ، وعلاقات تتطرّق إلى تعامل يضمّ أوجهًا تربويّة ورسائل تعبّر عن التواصل بين التلميذ والمعلّم.

كي يستطيع المتدرّب والمعلّم الجديد التعامل مع أوضاع لا تدعم التعلُّم، يستعملان المحاكاة جزءًا لا يتجزّأ من سيرورة التخصّص. التأهيل بواسطة المحاكاة تحوّل في السنوات الأخيرة الى ظاهرة آخذة في الاتّساع، في إسرائيل والعالم. في إطار هذا البرنامج، يجري تأهيل ممثّلين مهنيّين يمثّلون دَوْر الطلبة والأهل والمديرين.

تدرّب الممثّلون على تمثيل لقاء خاصّ مع معلّم متدرب او معلم ذو خبرة او مدير. تأهيل الممثّلين على الأدوار المختلفة يساعد المعلّمين والمتدرّبين على القيام بلقاء حقيقيّ يعتمد على قصّة حقيقيّة من واقع المعلّم وملائِمة لمجموعة المعلّمين، وهكذا فإنّ المتدرّبين ينكشفون على مضامين فيها محتويات من عالمهم الخاصّ بالعمل مباشرة، وبعد انتهاء المحاكاة يحصل كلّ متمرّس على تغذية راجعة من الممثّل. في التغذية الراجعة، الممثّل يشارك المتمرّس بما أحسّ به من مشاعر في وقت التعامل مع المتمرّس، وفي أعقاب التعامل.

بالإضافة إلى ذلك، ثمّة مركّب مركزيّ وحيويّ في ورشة المحاكاة، هو البحث في المجموعة المبنيّ على فيديو تصوير المحاكاة. البحث يجري مباشرة بعد التصوير، كما أنّه تُجرى محادثة مع كلّ أفراد المجموعة، وهو ما يساعد على التغذية الراجعة ومراجعة جميع المشتركين بشأن ما حدث. كذلك ثمّة مردود من الزملاء ومن متخصّصين في العمل في مجال التعليم. الموجِّهون الذين يديرون المجموعات هم موجِّهون مختصّون بإدارة مجموعات معلّمين وحصلوا على تأهيل مهنيّ خاصّ.

التعلّم بواسطة المحاكاة يوفّر للمعلّمين فرصة التعامل مع الصعوبات في التعليم تعاملًا أفضل، وأن يبحثوا الطرق المتّبَعة في التعامل مع الآخرين، وأن يبنوا ويصمّموا طرق مواجهة وتعامل ناجحة، وكذلك يعملون على تقوية العلاقات ويحافظون على التصرّفات الصحيحة. المعلّمون المتدرّبون عمليًّا يتدرّبون في إطار "واقع محميّ" مع إبعاد "عوائق التعليم" (Kaufman, D & Ireland, A, 2016)

مكاني كباحثة

مكاني في هذا البحث مهمّ جدًّا؛ فأنا في حقل البحث في غالب الوقت الذي تقام فيه ورشات العمل بطريقة المحاكاة، كما أنّني موجِّهة مجموعات لبعض الورشات الـمُقامة في المركز. وهذا ما يجعلني ملمّة إلمامًا كاملًا بالبحث، كما أنّ

وجودي في ميدان البحث سيساعدني على تغطية البحث من جميع جوانبه.

أهمّيّة البحث من ناحية نظريّة وعمليّة خاصّة في إطار التعليم العربيّ

بادئ ذي بدء، من خلال رجوعي إلى بعض المراجع والدراسات، وجدت أنّ موضوع المحاكاة لم يأخذ حقّه في البحث العلميّ في مجال التربية والتعليم، كما أنّ هذا الموضوع يُعتبر من المواضيع الجديدة في التعليم، ومن هنا تأتي أهمّيّته. كذلك إنّ مهنة التعليم هي مهنة صعبة وليست سهلة، وهناك ظاهرة آخذة في الاتّساع في السنوات الأخيرة هي ترك مهنة التعليم، ولا سيّما خلال السنوات الخمس الأخيرة، ويعود ذلك إلى اصطدام الشابّ الطمّاح إلى التغيير نتيجة ما تعلّمه في الجامعة مع ما يلقاه في الواقع الحقيقيّ للمهنة، وأنّ الحقيقة تختلف اختلافًا تامًّا عمّا درسوه في الجامعات. وهناك أبحاث تدلّ على الصعوبة في ترجمة المعلومات النظريّة إلى معلومات عمليّة لدى المعلّمين، وهذا أحد أهمّ أسباب ترك المهنة، ألا وهو التأهيل غير الكافي للعمل داخل الصفّ أو التأهيل الذي لا يعطي القدرة على التعامل الصفّيّ والإدارة الصفّيّة في الواقع. لذا، كان هناك توجُّه إلى استخدام أدوات أخرى تُستخدم في مهن أخرى وتساعد على التعامل مع أحداث وصراعات داخل الصفّ في الواقع, ومن هذه الأدوات المحاكاة والتي هدفها تمثيل أحداث واقعيّة وتساعد في تعلُّم عمليّ جذريّ.

كذلك إنّ المحاكاة في مجال التعليم لم تأخذ حيّزًا كبيرًا حتّى الآن. ففي مجال التربية بعامّة، يجري تحليل وتقديم تغذية راجعة في أعقاب الدروس، وهذه التجربة تساعد المعلّمين على التطوُّر الوظيفيّ، وتكسبهم مهارات مهمّة في تطوير ردّة فعل سريعة لِما يحدث في الصفّ.

بناءً على ما ذُكِر أعلاه، وبعد أن أقيم مركز المحاكاة، سوف يجري بحث تأثير المحاكاة على القرارات الذاتيّة لدى المعلّم؛ أي مدى نجاعة المحاكاة في التأثير عليها. هذا البحث الذي سوف يبنى بالأساس على هذا البرنامج هو بحث جديد ومتطوّر ولم يأخذ حقّه في البحث العلميّ في التربية والتعلُّم. هذا الموضوع يُعتبر من المواضيع الجديدة في التعليم؛ ومن هنا تنبع أهمّيّته.

المصادر:

شبيرلنج، د. (2015). "تسرب المعلّمين حول العالم: عرض معلومات. تل أبيب: مركز معلومات متعدّد الكليات، معهد موفيت (جرى استقاؤه من الرابط: http://library.macam.ac.il/study/pdf_files/d11803.pdf

Kaufman, D & Ireland, A, (2016). Enhancing Teacher Education with Simulations. Published online: 9 March 2016, Association for Educational Communications & Technology.

Shapira- Lishchinsky, L., (2013). Team-Based simulations: Learning ethical conduct in teacher trainee programs, *Teaching and Teacher Education*, 33, 1-12.

- **مديرة مركز محاكاة في كلية دافيد يالين، مديرة مدرسة، وباحثة في مجال التربية والتعليم, تدرس للقب الدكتوراة في المحاكاة في التربية والتعليم**